المملكة المغربية

المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين
الدار البيضاء-السطات
الفرع الإقليمي -الجديدة-

مجزوءة: دعم التكوين الأساس جغرافيا
مسلك الثانوي الاعدادي والتأهيلي
شعبة الاجتماعيات

أوليات في جغرافية الأرياف

إعداد: ذ. مراد عرابي
مكون بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين الدار البيضاء-السطات
فرع الجديدة

المملكة المغربية

المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين
الدار البيضاء-السطات
الفرع الإقليمي -الجديدة-

مجزوءة: دعم التكوين الأساس جغرافيا
مسلك الثانوي الاعدادي والتأهيلي
شعبة الاجتماعيات

أوليات في جغرافية الأرياف

إعداد: ذ. مراد عرابي
مكون بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين الدار البيضاء-السطات
فرع الجديدة

تقديم عام.....03
المحور الأول الريف: المفهوم، الأنواع، وأهميته في الدرس الجغرافي.....04
1- مفهوم المجال الريفي L'espace rural.....04
2- الاهتمامات الجغرافية بالمجال الريفي 05
2-1- الجغرافيا الريفية La géographie rurale.....05
2-2- الجغرافيا الفلاحية La géographie agricole.....06
2-3- الجغرافيا الزراعية La géographie agraire.....06
المحور الثاني: المجالات الفلاحية في العالم.....06
1- تحديد المجال الفلاحي العالمي.....07
2- يعرف المجال الفلاحي توسعا مستمرا: الدواعي والوسائل.....07
2-1- دواعي توسيع المجال الفلاحي العالمي.....08
2-2- وسائل توسيع المجال الفلاحي في العالم.....08
المحور الثالث: المشهد الزراعي ومكوناته.....10
1- مفهوم المشهد:Le paysage.....10
2- مفهوم المشهد الريفي Le paysage rural.....10
3- مفهوم المشهد الزراعي Le paysage agraire.....11
4- عناصر المشهد الزراعي.....13
4-1- المحاط Le Finage.....13
4-2- الرستاق Le terroir.....14
4-3- السكن L'habitat.....14
4-4- المشارة والدبر.....15
5- الأصناف الكبرى للمشاهد الزراعية.....15
5-1- المشاهد الزراعية في المنطقة المعتدلة.....16
5-2- المشاهد الزراعية في المناطق الجافة.....16

المحور الرابع: العوامل الطبيعية والبشرية المؤثرة في النشاط الفلاحي..... 17

1- العوامل الطبيعية..... 17

1-1- المناخ..... 17

1-2- التربة..... 20

1-3- التضاريس..... 21

2- العوامل البشرية 21

2-1- الجانب التاريخي..... 22

2-2- الجانب الديموغرافي..... 22

2-3- الجانب الاقتصادي..... 23

3- السياسات الحكومية..... 24

المحور الخامس: الاطار الاقتصادي والاجتماعي للنشاط الفلاحي..... 24

1- الملكية العقارية..... 25

2- نظم وطرق الاستغلال..... 26

2-1- الاستغلال المباشر..... 26

2-2- الاستغلال غير المباشر..... 26

3- أنواع الفلاحات..... 27

3-1- الفلاحة المعيشية..... 27

3-2- الفلاحة التسويقية..... 28

خاتمة..... 29

تقديم عام

يحضى المجال الريفي باهتمام الباحثين والدارسين على اختلاف تخصصاتهم ومناهجهم وأهدافهم، ويحتل مكانة هامة داخل البرامج والمقررات الدراسية لجميع المنظومات التربوية ولا سيما المغربية منها، ويتتعزز مشروعية درسه وتدريسه لأهميته الطبيعية، الاقتصادية، الاجتماعية والسياسية والديموغرفية وعلى مستوى التنمية ورهاناتها. يسود الريف على أكبر مساحة من إجمالي كل بلدان العالم، ويشكل مصدرا للموارد المائية وموئلا للمجالات الغابوية وموطنا للتنوّع البيولوجيّ، كما يضمّ القسط الأوفر من الثروات الطبيعية، ويضمن حاجيات السكان من الحبوب، الحليب، اللحوم الحمراء، الدواجن، من السكر، من الزيت، (أمن غذائي)[1] ويحتضن نسبة مهمة من الساكنة ويشكل مورد عيشها الرئيس بممارسة الفلاحة التي تساهم في الناتج الداخلي الخام، وفي توفير الشغل للملايين ويسهم في إنعاش باقي القطاعات الاقتصادية الأخرى.

يعرف المجال الريفي العالمي تحولات قوية: اقتصاديا، اجتماعيا وسياسيا وثقافيا...، متخذا مشاهد مختلفة غالبا ما تتناسب مع المعطيات البيئية والثقافية والاجتماعية، ويخضع في تحوله بتغير هذه المعطيات. باعتباره كيان متغير/تابع يتحول بتحول الأنظمة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، بل يرتبط بتحول المجتمع ككل، ومن هذا المنظور فكثيرا ما تعتبر دينامية[2] المجال الريفي وتواتر مشاهده وتنوعها مرآة صريحة لقراءة تلك التحولات.

تكمن أهمية إدراج هذا الموضوع ضمن مجزوءة دعم التكوين الأساس (جغرافيا) بالنظر الى:

- الأهمية الايكولوجية للمجال الريفي إذ تصنف بعض أجزاءه تراثا طبيعيا عالميا؛

---

[1] هو القدرة على توفير الحاجات الغذائية الأساسية للسكان وضمان حد أدنى من تلك الحاجات بانتظام وبأسعار مناسبة.

[2] يدل مفهوم "الدينامية" لغة على النشيط والحركي، يكتسي دلالات تختلف باختلاف السياقات والمجالات المعرفية التي تستعمله. من المفاهيم الأكثر تداولا في الجغرافيا، تعني دراسة دينامية أو ديناميات المجالات القيام بتحليل التغيرات أو التحولات التي تطرأ على تنظيم المجالات والقوى المتحكمة فيها، والمتسببة في حدوثها، يتعلق الأمر إذن بمفهوم أساسي من أجل فهم التحولات المجالية، حيث تسمح دراسة الديناميات بمعرفة ظروف وملابسات إنتاج وإعادة إنتاج أو تحول الأنظمة أو البنيات المجالية.

أصبحت دراسة الديناميات المجالية مكونا أساسيا ضمن التحليل الجغرافي باعتبار المجالات الجغرافية (ريفية وحضرية) بناءات اجتماعية وفعاليات اقتصادية وسياسية تعيش تحولات عميقة ومستمرة. كمية أو كيفية إما ايجابية أو سلبية، إن تحليل دينامية المجال لا يأخذ بعين الاعتبار عنصر الوقت فحسب بل الفاعلين والقوى الفاعلة في التراب وأيضا باعتبار ارتباط هذا الموضوع بالتنمية المستديمة والتهيئة المندمجة للمجال.

- مجال هش ذو حساسية اتجاه أشكال الاستعمال والاستغلال سواء تلك المتعلقة بالفعل العفوي للسكان أو بالتدخلات والتوجيهات الرسمية الإنتاجية والإعدادية؛

- هشاشة المجال الريفي بفعل قدم الاستغلال وتناوب أشكال الاستغلال عليه وتعدد استعمالاته بين أنشطة فلاحية، غير فلاحية[3] وسكنية...؛

- ارتباط موضوع الريف بمجموعة من الدروس المقررة في مكون مادة الجغرافيا لا سيما بالسلك الثانوي التأهيلي وبالأهداف والقدرات والكفايات التي يسطرها المنهاج الدراسي وملمح تخرج المتعلمين والمتعلمات؛

المحور الأول: الريف: المفهوم، الأنواع، وأهميته في الدرس الجغرافي

1- مفهوم المجال الريفي L espace rural

"الريف" مفهوم فضفاض، شائع التداول يطرح إشكالية تعريفه بدقة، فالتعاريف المستعملة تختلف من بلد إلى آخر، لاختلافات معايير ومرتكزات بلورة التعريف، جل القواميس تعرف الأرياف أنها نقيض للمدن، فالبحث عن معنى ريف Rural تحيلنا على كلمة مدينة Ville أو كلمة تمدين Urbain، أي أن الأرياف عكس المدن دون تحديد أي معايير للإحاطة بمحتوى كل المجالين، وهذا الغموض ناتج عن انعدام تعريف دقيق بالنسبة للمجال الريفي أو العالم القروي كمرادفين. إن اختزال تعريف الأرياف كنقيض للحواضر، لهو دليل على الصعوبة تحديد المقومات والمكونات الخاصة بالأرياف، ورسم الحد الفاصل بينها وبين المجالات الحضرية بالشكل الذي يسمح بإجراء مقارنة حقيقية بين محتويات وخصوصيات كلا المجالين، ولا سيما مع التحولات الكبرى والعميقة التي تعيشها المجلات الجغرافية بكل مكوناته في ظل التطور التكنولوجي المثير وتيار العولمة الذي تخطى كل العتبات.

يفهم من المجال الريفي تلك المجالات القليلة التعمير والكثافات السكانية، سكن متفرق بين الحقول والأراضي البوار والغابات، يتسم بهوية نوعية من خلال الثقافة الفلاحية ركيزته

[3] أنشطة خارجية لا تمت بصلة للفلاحة تمارس بالموازاة مع الأنشطة الفلاحية كفعل تكيفي يضمن توازن الحيازة أو مستقلة كشكل من أشكال الاستثمار في مجالات انتاجية اخرى تتخذ من المجال الريفي موطنا لها لاعتبارات معينة (القرب من المادة الأولية الامكانية العقارية، تحفيزات ضريبية...)

الاقتصادية النشاط الفلاحي، يتميز بانعدام الخدمات أو قلتها كما هو الحال في معظم دول العالم النامي، لكن الريف لا يقصد به المجال الزراعي الذي يستخرج منه الإنسان حاجاته الغذائية أو متطلبات ماشيته أو موارده الأساسية، فهو المجال يشمل أيضا الحيز غير المزروع كما يضم إلى جانب النشاط الفلاحي أنشطة أخرى كالحرف، الصناعة، الخدمات، السياحة...

تستعمل الكتابات الجغرافية المهتمة بالأرياف المجال الريفي Espace rural الذي تداولته جغرافية الأرياف الفرنسية منذ وقت مبكر، المتميز بهيمنة الأنشطة الفلاحية وضعف الكثافة السكنية، كما أنها تتداول كمرادف للمجال الريفي لفظ البادية Compagne الذي يحمل نفس المعنى والدلالات، ومنهاMilieu campagnard التي تتردد في الكتابات الجغرافية الفرنسية، ويرد في متونها أيضا تسمية العالم القروي كمرادف لعالم الأرياف، والذي يعني هو الآخر المجالات الممتدة خارج المجالات الحضرية، وهي التسمية الشائعة التداول في الوثائق الرسمية لمختلف القطاعات العمومية المعنية بالأرياف المغربية مثلا.

2- الاهتمامات الجغرافية بالمجال الريفي

نشير إلى أهمية التمييز بين الجغرافيا الريفية والجغرافيا الفلاحية والجغرافيا الزراعية.

2-1- الجغرافيا الريفية La géographie rurale

تهتم جغرافية الأرياف بدراسة المجالات الريفية اقتصاديا واجتماعيا، لقد كانت الجغرافيا الريفية خلال القرن الماضي وحتى العقد السادس منه، تعتمد في تحليلاتها على مفهومي نمط العيش المرتكز على الحتمية الطبيعية والإمكانية النسبية بإدخال عناصر ثانوية مفسرة كالتاريخ والعوامل الخارجية، وهو أمر بات متجاوزا ، لذا أصبحت الجغرافيا الريفية تدرس الريف ككيان حي دينامي. فالريف ليس مجرد مسرح للنشاط الفلاحي فقط، فهو مجال معقد أكثر مما قد يتصور فهو حاضن لأنشطة أخرى، يخضع لتأثيرات داخلية وخارجية ومرتبط بمجالات مجاورة وبعيدة عنه جهوية ووطنية وعالمية، ويتصرف تحت تأثير توجيهات وضغوط مختلفة ذات طبيعة سياسية اقتصادية ثقافية...

2-2- الجغرافيا الفلاحية La géographie agricole

تعنى بالجوانب التقنية والاقتصادية لمزروع معين أو ماشية معينة دون اعتبار للظروف البشرية التي يتم فيها العمل، (عوامل الانتاج)[4] فهي من جهة تدرس العلاقة القائمة بين الإنتاج الفلاحي والأساليب التقنية المستعملة، ومن جهة أخرى تهتم بالجانب الاقتصادي المتعلق بهذا الإنتاج فيما يتعلق بالاعتبارات التقنية، كما تعكف على دراسة المؤهلات البيئة الطبيعية من حيث التربة والمناخ... وإمكانية والاعتماد على الري واستعمال الأسمدة واستخدام المكننة...وفيما يخص الاعتبارات الاقتصادية فهي تهتم مثلا بالمردود وحجم الإنتاج والتسويق.

2-3- الجغرافيا الزراعية La géographie agraire

تعنى الجغرافيا الزراعية بالأثر الذي يترتب عن الاستغلال الفلاحي على سطح الأرض والذي تعكسه المشاهد الزراعية، فهي تبحث في تأثير الماضي على الحاضر، وتخص بالدرس التنظيمات الزراعية الكبرى في المكان (شكل الحقول، توزيع السكان...) وفي الزمان (تعاقب المزروعات)، مع اعتبار كل ما من شأنه أن يوثر فيها من عوامل طبيعية وتقنيات مستعملة وظروف اقتصادية ومعطيات بشرية كالعادات الاجتماعية والبنية العقارية....

المحور الثاني: المجالات الفلاحية في العالم

يفيد معنى المجال الفلاحي حسب جل الأدبيات الجغرافية التي عنيت بمناقشة مفهوم ومواضيع المجال الفلاحي، بكون هذا الأخير يتشكل من مجموع الأرضي التي يستغلها فعليا الانسان بغية تحقيق انتاج من مزروعات معينة وفي تربية الماشية على اختلاف أصنافها،

---

[4] يقوم النشاط الفلاحي على الأرض ورأسمال والعمل وهي تكون مجتمعة عوامل الانتاج:
- الأرض وهي الرأسمال العقاري للحقول الزراعية وتتفاوت قيمتها التجارية أو الكرائية حسب عوامل طبيعية واقتصادية؛
- رأس المال: وينقسم الى قسمين:
* رأسمال متحول: يضم البذور والشتائل والأسمدة الكيماوية والمبيدات والمواد البيطرية والمحروقات بالإضافة إلى الموارد المالية...؛
* رأس المال تابث: يتكون من البنيات التحتية الفلاحية من بناءات ومنشات وآلات وتجهيزات مائية وحيوانية منتجة أو المخصصة للعمل.؛
- اليد العاملة: تتكون من اليد العاملة العائلية أو الأجيرة وتنقسم هذه الأخيرة الى صنفين فتكون قارة أو موسمية حسب الحاجة التي يتطلبها العمل الفلاحي؛

هذا المجال المستغل بهذا الشكل فيما يتعلق بحجمه (ضيق/اتساع) يتأثر بالحتميات البيئي-طبيعية، كما أنه يخضع لتدخلات البشرية فيما يتعلق بإمكاناتها وقدراتها التقنية والعلمية ذات الصلة بالمجال والإنتاج الفلاحيين.

1- تحديد المجال الفلاحي العالمي

يختلف التوزيع المجالي للمجال الفلاحي على سطح الأرض حيث المساحات الشاسعة التي تنعدم فيها ظروف ومقومات ممارسة أي نشاط فلاحي من قبل الانسان، ولعل أهمها وأوسعها المجالين القطبيين (الشمالي والجنوبي) اضافة الى المجالات الصحراوية المدارية القاحلة، نظرا إلى كونها مجالا تطرف مناخي (برودة شديدة طيلة السنة بالقطبين، حرارة مرتفعة بالصحاري)، اضافة الى أنها مجالات ندرة مائية شديدة إلى منعدمة.

تحد من امتداد المجالات الفلاحية وبشكل واضح في كثير من بقاع العالم مثبطات طبيعية أخرى، من قبيل: المساحات الشاسعة التي تشغلها الأشكال التضاريسية الوعرة خصوصا السلاسل الجبلية، اضافة الى المستنقعات دون أن ننسى أن المجال الفلاحي يحد من تمدده أو يقلص منه التوسع العمراني، خصوصا التوسع الحضري وما ينجزه الانسان من بنيات تحتية صناعية سياحية مواصلاتية... كما تساهم العوامل المناخية هي الأخرى وبشكل كبير في تقرير حجم المجال الفلاحي، وتتحكم في توزيعه حسب النطاقات المناخية المختلفة.

تحتضن المناطق المعتدلة بجزئيها الشمالي والجنوبي مساحات فلاحية هامة (حوالي 55% من مجموع المجال الفلاحي العالمي)، تتوزع في تفاوت من بلد إلى آخر باستحضار العامل التضاريسي والتقني والتنظيمي لكل بلد، بينما في المناطق الحارة تحتضن مجالا فلاحيا أقل (حوالي 45% من مجموع المجال الفلاحي العالمي)، هو الآخر يعرف تفاوتا في توزيعه بين البلدان لنفس الاعتبارات، إضافة إلى أن استغلاله يعرف تقطعا زمنيا بالنظر إلى الخصائص المناخية.

2- يعرف المجال الفلاحي توسعا مستمرا: الدواعي والوسائل

يعرف المجال الريفي العالمي توسعا يوما بعد يوم من أجل الاستغلال الزراعي والرعوي، وذلك من خلال مجموع من الوسائل لمجموعة من الأسباب.

2-1- دواعي توسيع المجال الفلاحي العالمي

تعرف الساكنة العالمية نموا مضطردا، هذا النمو يرافقه ارتفاع في الطلب على الغذاء وبالتالي تكثيف الانتاج وتوسيع المجال الفلاحي الذي ساعد في توسيعه التقدم الحاصل في مجالات علمية متنوعة (علوم زراعية، كيميائية، آلات، تقنيات، أدوات عصرية...)، اذن أمام التطور العلمي والتقني ونمو السوق الاستهلاكية الفلاحية، انتعشت عملية توسيع المجال الزراعي مستفيدة من ذلك، إلا أننا ولا بد أن نشير الى أن عملية توسيع المجال الفلاحي هي بدورها تختلف من بلد الى آخر، في ارتباطها بعوامل طبيعية، اقتصادية وتنظيمية...

2-2- وسائل توسيع المجال الفلاحي في العالم

تتنوع وسائل توسيع المجال الفلاحي العالمي والتي يلجأ إليها ممارسي الأنشطة الفلاحية، أو التي تتم في إطار مبادرات وبرامج مدعومة من طرف الدولة في إطار مشاريع التنمية الفلاحية، ونعرض لبعض أهم وسائل توسيع المجال الفلاحي في العالم وهي كالتالي:

2-2-1- الاجتثاث:

معناه ازالة الغطاءات النباتي الأصلية بقصد ممارسة أنشطة زراعية، ويتم الاجتثاث بطرق وتقنيات متنوعة كالقطع أو استعمال الجرافات أو احراق الغابة كما هو معروف بالمناطق الاستوائية (الضريم)[5].

2-2-2- العدن L épierrage:

عملية ربح مساحات زراعية على حساب أراضي متحجرة بتهشيم الصخرة الأم، أو تنقية الأراضي من الكتل الحجرية التي تعيق استقرار المزروعات وتمدد جذورها، هذه العملية هي قديمة قدم الاستغلال البشري للأرض في أنشطة زراعية، كانت تستعمل فيها الأدوات البسيطة كالفؤوس، إلا أنها توسعت بشكل كبير بفعل التطور التقني باستعمال الالة التي توفر الجهد والوقت.

[5] تعتمد زراعة الضريم المتنقلة على عدد كبير من المزارعين لحرق جزء من الغابة، تتصف هذه الزراعة بغياب السكن القار وتزرع العائلات الأرض المحروقة لمدة سنتين أو ثلاث، ولما تفقد التربة خصوبتها تنتقل هده العائلات الى مجال غابوي مجاور لتقوم بنفس العملية.

3-2-2- الري L irrigation:

عملية توفير المياه عن طريق الجمع والتعبئة بواسطة السدود أو استغلال المياه السطحية والباطنية عن طريق ضخها، ومد القنوات لربط الحقول بها لسقي المزروعات بمجالات ندرة مائية وجفاف مناخي، ويتم الري بمجموعة من الطرق والتقنيات.

* **الغمر:** تعني عملية سقي المزروعات الشجرية أو الجذرية أو الثمرية أو الحبوب... عن طريق غمرها بالماء ضمن أحواض ذات شكل مربع أو مستطيل في أغلب الأحيان، ويتم توزيع الماء داخل الحقول في سواقي غالبا ترابية، يعتمد توزيع الماء داخل الحقل على الجاذبية حيث يلعب السطح دورا في ذلك، تعتبر من طرق السقي الأقدم منذ آلاف السنين وفي جميع بقاع العالم، لا تحتاج كلفة مالية من أجل تدبير تجهيزات السقي أو الصيانة، كما أنها الأكثر هدرا للماء وللجهد والوقت.

* **الرش:** تستعمل تقنية الرش خصوصا في سقي الحبوب باستعمال تقنيات لضخ الماء في أنابيب موصولة برؤوس رشاشة توزع داخل الحقول ومن بين أبرز هذه التقنيات الأدرع المحورية التي تمكن من سقي مساحات كبيرة، تتخذ شكل دوائر حيث استعملت بداية وعلى نطاق واسع بالولايات المتحدة الأمريكية، إلا أنها تتميز بهدر في الماء السقوي، استعملت أيضا في سقي حبوب سهل الغرب والشاوية في المغرب على سبيل المثال.

* **التنقيط Gout a gout:** تقنية للسقي تسمر أيضا بالسقي الموضعي، تعتمد ايصال الماء في شكل قطرات أو تدفقات قليلة الى جذوع المزروعات عبر شبكة كثيفة من الأنابيب، تحافظ على رطوبة التربة وتعتبر تقنية الأكثر ترشيدا لمياه السقي عن طريق تجنيب هدرها في السواقي وعن طريق التبخر، كما تستعمل لإمداد المزروعات بالمواد المغذية (أسمدة)، وقد دشن المغرب تشجيع استعمال التقنية وتعميمها عبر برنامج وطني لاقتصاد مياه السقي (PENEEI)[6] في إطار التدابير الأفقية لمخطط المغرب الأخضر.

[6] برنامج يهدف إلى التخفيف من الآثار المترتبة عن ندرة الموارد المائية وتحسين نجاعة استعمال المياه في السقي، امتد من سنة 2008 إلى سنة 2020 ، هدف الى تحويل طرق السقي المتبعة حاليا نحو تقنيات السقي الموضعي بغية الوصول إلى اقتصاد حوالي 1,4 مليار متر مكعب من المياه سنويا، وبالتالي تحسين استعمال الماء وتثمينه.

4-2-2- التجفيف:

عملية لربح مجالات زراعية على حساب المستنقعات عن طريق تجفيفها وردمها بتربات مجلوبة من مجالات أخرى، وهناك أيضا توسع للمجال الفلاحي على حساب البحر (بولديرات هولندا).

المحور الثالث: المشهد الزراعي ومكوناته

1- مفهوم المشهد: Le paysage

المشهد في معناه البسيط كل نظرة على المجال من نقطة معينة ومن زاوية خاصة في وقت محدد، إن وصف وتقديم مشهد معين يترجم العلاقة بين الإنسان ومحيطه البيئي كمركب من الخصائص الطبيعية والبشرية التي تعكس فعل الإنسان وتدخلاته الماضية والحاضرة[7]، لذا تعتبر الجغرافيا مرادفا لمفهوم المشهد ولدراسة المشاهد[8]، تتيح فهم العلاقة بين الإنسان والوسط البيوفزيائي[9].

2- مفهوم المشهد الريفي Le paysage rural

يمثل المشهد الريفي هو جزء من مقطع محدد من منطقة جغرافية ريفية معينة، تعكس الإطار الخارجي لمجال/وسط العيش، فهو نظام بيئي يتميز بخصائص محدد وخاصة، كما أن المشهد يمثل الهوية المحلية لمجتمع معين في المكان والزمان، ويعكس الوعاء الطبيعي الذي يتم في الاستغلال، وحتى الإطار التنظيمي الثقافي لمجال ريفي معين. المشهد الريفي مشهد عام يعبر عما يوجد في البادية، حقول زراعية، أراضي بوار، ضيعات، سكن، مراكز... بمختلف مكوناتها من بنيات إدارية وخدماتية، إقامات ثانوية وأوراش الصناعة، الحرف التقليدية ومخازن ودكاكين وأسواق... مشهد عام يتطلب معرفة جيدة وتحليل دقيق لكل مكوناته المترابطة فيما بينها من خلال شبكة علاقات تفاعلية، ففي المشهد الريفي نجد

[7] **Dunlop,J.(2012):** Op.Cit, p: 18.
[8] **Diry,J,P.(1999):** Op.Cit, p: 27.
[9] **Bavoux,J,J.(2002):** Op.Cit, p: 30.

تداخل المشهد الطبيعي[10] والمشهد البشري عقب سلسلة طويلة تتعاقب فيها عمليات تفاعل متبادلة، لذا فهو يحمل بصمات تاريخ تشكيله التي تعرف تغيرا باستمرار.

لا يمكن الحديث عن مجال ريفي واحد وموحد بل عن مجالات قروية متنوعة، نظرا للتنوع الكبير في المشاهد الريفية التي هي نتيجة لتدخل العنصر البشري ولكونها عبارة عن أوساط طبيعية مشكلة Modelé بعوامل اجتماعية وثقافية، لها خصوصياتها من حيث الموارد الطبيعية واختلاف الضغوطات والأولويات التي يحددها السكان المعنيون، الشيء الذي يحيلنا على وظائف العالم الريفي من وظائف إنتاجية ووظائف استهلاكية تتمثل في الأنشطة السياحية ووظيفة الإقامة أي العودة إلى الريف...

3- مفهوم المشهد الزراعي Le paysage agraire

المشهد الزراعي هو ذلك المنظر المرئي المباشر أو عن طريق الصور الفتوغرافية، الجوية، بواسطة الأقمار الاصطناعية او رسوم تبسيطية وتوضيحية... إضافة الى الأراضي زراعية فالمشهد الزراعي يضم أيضا الأراضي غير الصالحة للزراعة (المراعي)، السكن، الطرقات والمسالك، البنيات التحتية السقوية، بينما الأرضي الزراعية تتشكل من مشارات تختلف وتتنوع مساحاتها وأشكالها حسب طبيعة الوسط الطبيعي وحجم الكتلة الديموغرافية، وطبيعة البنى الاجتماعية والساياسية...

يعكس المشهد الريفي عامة ما يوجد في البادية من حقول زراعية، أراضي بوار، ضيعات، سكن، أوراش، أسواق، مراكز وبنيات إدارية وخدماتية...، يتطلب معرفة جيدة وتحليل دقيق لكل مكوناته المترابطة فيما بينها من خلال شبكة علاقات تفاعلية، حيث تداخل المشهد الطبيعي والمشهد البشري عقب سلسلة طويلة تتعاقب فيها عمليات تفاعل متبادلة.

لا يمكن الحديث عن مجال ريفي واحد وموحد، نظرا للتنوع الكبير في المشاهد الريفية، لكونها عبارة عن أوساط طبيعية مشكلة Modelé بعوامل اجتماعية وثقافية[11]، لها خصوصياتها من حيث الموارد الطبيعية واختلاف الضغوطات والأولويات، لذا فالمشهد

---

[10] المشاهد الطبيعية الأصيلة للأرياف قد عرفت تحولات ترجع أساسا إلى التدخلات البشرية المتواصلة والمتعاقبة من أجل الاستجابة إلى حاجات الإنسان عبر استغلال الموارد الطبيعية.

[11] **قواق حميد،(2013):** *الضاحية الجنوبية الغربية للجديدة الكبرى: الواقع الحالي والآفاق المستقبلية*، بحث لنيل شهادة الماستر في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم والإنسانية، جامعة شعيب الدكالي، الجديدة، ص: 16.

الريفي هو جزء من مقطع معين من منطقة ريفية ما، يعكس الإطار الخارجي لمجال/وسط عيش، فهو نظام بيئي يتميز بخصائص محددة، كما أن المشهد يمثل الهوية المحلية لمجتمع معين في المكان والزمان، ويعكس الوعاء الطبيعي الذي يتم في الاستغلال وحتى الإطار التنظيمي الرسمي والثقافي السائدين.

يدل المشهد ضمنيا عن تشكيل جماعي للأرض، يعكس ممارسات ومعتقدات وتقنيات مجتمع أو ثقافة ما، كما يعكس العناصر المؤثرة من خارج المجتمع، والجغرافيا المشهدية هي التي تتساءل عن الكيفية التي تشكل بها هذا المشهد أو ذاك، باحثة عن العوامل المفسرة غير مكتفية بالوصف، وبعيدا عن التفسير القائم على الحتمية الطبيعية التي تعتبر المشهد نتاجا لمحددات طبيعية صرفة يبقى الإنسان رهينة لها وعنصر متكيف فقط[12] دون إعارة الاهتمام بباقي العوامل.

تجدر الإشارة إلى أن المشهد الزراعي يعتبر جزءا من المشهد الريفي العام الأكثر تعقيدا، إذ يعتبر نتيجة تنظيم الإنسان للمجال الفلاحي وتجهيزه للأرض قصد الاستغلال فهو انعكاس النشاط الفلاحي على وجه الأرض، فالمشهد الزراعي إذن لا يعني الإطار الطبيعي الذي يتم فيه الاستغلال فقط[13] بل يعكس البنيات الاجتماعية والاقتصادية أيضا[14]

---

[12] **كرانغ مايك،(2005):** *الجغرافيا الثقافية: أهمية الجغرافيا في تفسير الظواهر الإنسانية*، ترجمة: منتاق سعيد، عالم المعرفة، عدد 317، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص: 29 و30.

[13] **بلفقيه محمد،(1988):** مرجع سابق، ص: 85.

[14] **Diry,J,P.(1999):** Op.Cit, p: 26.

شكل رقم 9: تفاعل العوامل الطبيعية والبشرية والتنظيمية في تشكيل المشهد

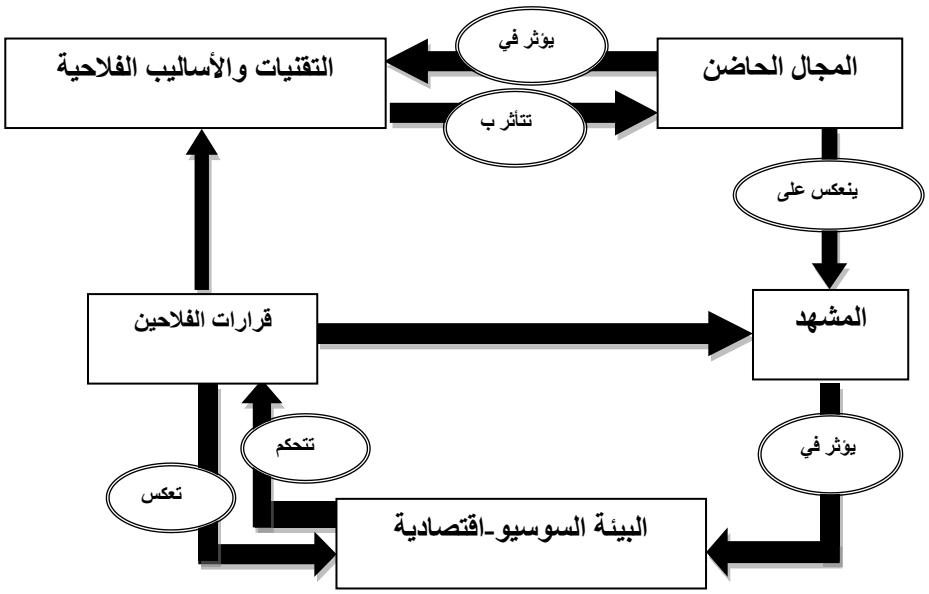

4- عناصر المشهد الزراعي

4-1- المحاط Finage

مجموع الأراضي التي تملكها جماعة بشرية تكتسب من الفلاحة (دوار[15]، قبيلة، جماعة قروية...)، اما ملكا شرعيا عندما يتوفر الملاكون على رسوم عقارية، أو ملكا عرفيا كما هو الحال بالنسبة للأراضي الجماعية (أراضي الجموع)،[16] يضم المحاط جميع الأراضي المزروعة وغير الصالحة للزراعة والضايات والغابات... وإذا لم يزرع المحاط بالكامل فهو ينقسم الى الحريث والشيم.

[15] يثير مفهوم الدوار نقاشا دلاليا يحيل بالرجوع إلى المعاجم اللغوية العربية على معاني بعيدة مثلا: "الدوار هو جزء قابل للدوران واللف"، وعموما لفظة الدوار في المغرب ينعت بها كل أشكال السكن المتجمع المستقر في شكل دائرة، تسمية تختلف من منطقة لأخرى، الدشر تستعمل في جبال الريف، وإغرم في الأطلس الكبير، والقصر في الأوساط الواحية، كذلك تشير لفظة الدوار في البلدان المغاربية إلى كل تجمع سكاني مستقر أو متنقل مؤقت أو دائم، أفراده تربطهم علاقة قرابة، عبارة عن تنظيم مجالي واجتماعي ذو مستويات وأبعاد مختلفة.

[16] تسمى أيضا الأراضي التي تملكها الجماعات السلالية بأراضي الجموع، الأراضي الجماعية، الأراضي العشائرية،الأراضي الإثنية، أراضي الجماعات الأصلية، لقد عرف المشرع الأراضي الجماعية في ديباجة ظهير 17 أبريل 9191بأنها تلك الأراضي التي تتصرف فيها الجماعة وسلالتها تصرف المالك في ملكه، وتعرف بأنها" تلك الأراضي التي ترجع ملكيتها إلى جماعات سلالية في شكل قبائل أو دواوير أو عشائر قد تربط بينهم روابط عائلية أو عرفية واجتماعية ودينية بحيث حقوق الأفراد غير متميزة عن حقوق الجماعة.

* **الحريث Ager:** الجزء الذي يستغل من المحاط بشكل فعلي ودائم، يتكون من حقول تمارس فيها الزراعات الموسمية أو الأشجار المثمرة، وبمعنى اخر كل القطع الأرضية التي تحضى بعناية الفلاح.

* **الشيم Saltus:** الجزء الذي لايستغل في الزراعة أي أن الأراضي تترك على شكلها الطبيعي وتستغل في غالب الأحيان كمراعي.

4-2- الرستاق Le terroir

مساحة أرضية تنفرد ببعض الخصائص الطبيعية (المناخ، التربة، المياه، الغطاء النباتي...) والبشرية (الاصلاحات المختلفة التي يقوم بها العنصر البشري فوق مساحة معينة)، لذلك تسعى المجموعات البشرية الحصول على محاط يتوفر على عدد أكبر من الرساتيق، حتى يتنوع المنتوج وتحصل التكاملية الوظيفية بينها.

4-3- السكن L'habitat

يعرف السكن الريفي بأنه نمط توزيع المنازل الفلاحية الدائمة أو المؤقتة التي يقطنها سكان غالبيتهم يشتغلون في الفلاحة داخل محاط، فهو ليس معطى تابث بل متغير/متحول ككل الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية ضمن سيرورات تحول المجتمع وتطوره بالانفتاح على مختلف التأثيرات، يعتبر من الناحية الشكلية شكلا توطينيا يعبر عن نوع اندماج سكان الريف بترابهم المحلي، وعن نوع تنظيم المجال والمستوى الاقتصادي والإرث الثقافي، ومن الناحية الوظيفية هو بعد اجتماعي واقتصادي وإطار للحماية ومساهم في العملية الإنتاجية، يأوي الأسر ووسائل الإنتاج، كما يقصد بالسكن الريفي الرقعة التي تحتلها المنازل والمرافق التابعة لها.

يعتبر السكن الريفي إطار حياة وعنصر أساسي في إنتاج المشهد الريفي، ومن هذا المنظور فكثيرا ما يعتبر السكن مرآة صريحة لقراءة التحولات المجالية، باعتبار أن مكوناته وهندسة أشكاله تعكس درجة وأساليب استغلال الإنسان للمجال. في الوقت الراهن أصبح يضطلع بوظائف جديدة غير وظيفته التقليدية، وتحولات سريعة على المستويين الكمي والنوعي لعدة عوامل:

- **ديمغرافية:** تعرف الساكنة الريفية نموا ديمغرافيا مهما مقارنة بالمدن؛

- **عقارية:** يتميز المجال الريفي بسهولة الولوج الى العقار (الثمن)؛

- **جغرافية:** تستفيد بعض المجالات الريفية من القرب من المدن أو الربط بالطرق ووسائل النقل؛

- **اقتصادية:** تحسن مداخيل الفلاحين وانتعاش العودة الى الريف؛

4-4- المشارة والدبر

*** المشارة Parcelle**

قطعة أرضية لشخص أو مجموع اشخاص لهم ما يتبث ملكيتها، تختلف مساحتها من مجال الى اخر أو داخل نفس المجال، تصغر بمجالات ندرة الأراضي الصالحة للزراعة نتيجة وعورة التضاريس أو القحولة لقلة إلى انعدام التساقطات (مناطق جبلية واحية...)، وتكبر مساحتها بالمناطق السهلية الشاسعة (سهول الولايات المتحدة الامريكية)، تتنوع أشكالها الهندسية وعمليات تهيئتها (مسيجة أو مفتوحة).

*** الدبر Parcellaire**

عبارة عن مشارات متشابهة ومتجانسة على مستوى المساحة، غالبا ما تخضع لنظام خاص في استغلالها، ويبرز ذلك جليا بالمجالات السهلية المسقية بالمغرب التي عرفت عمليات ضم للأراضي وإعدادا هيدروفلاحيا (سهل دكالة، الغرب، تادلة، الحوز...).

4- الأصناف الكبرى للمشاهد الزراعية

تصنف المشاهد الزراعية بناءا على عوامل تختلف من مجالا جغرافي الى اخر في كل أرجاء العالم، ويتم ذالك حسب التقنيات والأساليب المستعملة في مزاولة النشاط الزراعي بين مشاهد زراعية بالأرياف التي تعرف سيطرة الطابع التقليدي، وأخرى عصرية أو على أساس مشاهد زراعية تسود بها الزراعات المسقية وأخرى زراعات بورية، أو حسب تشكيل المشارات بين مسيجة ومفتوحة، وما يرافق ذلك من أشكال توطن وتوزيع السكن (متجمع أو متفرق...).

4-1- المشاهد الزراعية في المنطقة المعتدلة

تتسم المشاهد الزراعية في المنطقة المعتدلة بسيادة الحقول المفتوحة غير المسيجة في الغالب، بل ويتسم الدبر بالتجزؤ بفعل عامل الارث إلى مشارات صغيرة المساحة، بينما يتميز السكن بصفة التجمع في نقط معينة بالقرب من المشارات ليبقى الفلاح على مقربة من مشارته اقتصادا للوقت في التنقل اليها وللجهد في نقل مدخلات الانتاج اليها أو جمع المحصول وتخزينه... أما على مستوى النظام الزراعي يطغى عليه عموما زراعة الحبوب، حيث أن الفلاح يعتمد على نفس النوع أو يختار تنويعها داخل نفس المشارة، هذا اضافة الى وجود حقول زراعية مغلقة (مسيجة) يتخللها سكن متفرق في شكل بيوت ريفية منعزلة مفصولة عن بعضها البعض بمسافات مختلفة، ويسود بهذه البوادي نظام زراعي لا تؤطره أشكال استغلال جماعية تستند الى أعراف وتقاليد متوارثة عبر الأجيال.

4-2- المشاهد الزراعية في المناطق الجافة

يمكن تحديد النطاق الجاف في كونه مجال قسوة مناخية حيث ندرة الى انعدام التساقطات مما يعيق تطور الزراعة بل وينعكس ذلك عموما على تطور الغطاء النباتي حيث تصبح التشكيلات النباتية جد قصيرة ومنفرجة وأحيانا منعدمة كما أن المناطق الجافة تتميز بخصائص مناخية التالية:

- حرارة مرتفعة مع فارق يومي وسنوي ضعيف؛
- المجموع السنوي من التساقطات ضعيف مما يجعل الجريان ضعيفا وبالتالي تكون الأودية جافة في الغالب؛
- ندرة الغطاء النباتي وبغاء الأتربة عارية بل أن هناك بعض الصحاري الخالية من أي تشكيلة نباتية؛
- افتقار هذه المناطق لأتربة خصبة وهي مجالات توقف أي تطور للتربة حاليا حيث أن التربات الموجود هي تربات موروثة عن حقب قديمة عرفت رطوبة؛

رغم قساوة الظروف المناخية بالمناطق الجافة إلا أن هناك بعض المناطق منها تتوفر على امكانيات الري، كما هو الحال بالنسبة للمجالات الواحية، التي ساعدت على استقرار السكان

وممارسة أنشطة زراعية متنوعة، ويتميز المشهد الزراعي بالواحات بوجود مشارات ضيقة ومسيجة في الغالب، اما النظام الزراعي فهو يتميز بالتنوع حيث نجد داخل نفس المشارة ثلاثة مستويات: أشجار النخيل، الأشجار المثمرة، المغروسات الظلية (استغلال عمودي للمجال)، ويبقى توزيع مياه السقي يخضع لنظام عرفي معقد متعاقد حوله ومتوارث ويقوم على مبدأ النوبة.

المحور الرابع: العوامل الطبيعية والبشرية المؤثرة في النشاط الفلاحي

تقع الأنشطة الفلاحية تحت التأثير الكبير للعوامل الطبيعية المتنوعة غير أنها مرتبطة أيضا بالعوامل البشرية المختلفة، أي أن هناك علاقة متصلة وتأثير متبادل بين هذه العوامل مجتمعة.

1- العوامل الطبيعية

تعتبر العوامل الطبيعية احدى أهم المقومات الأساس لنشوء وتطور نشطة فلاحية بمجال ما، والعامل المحدد لنوعية المحصول ودرجة نجاحه، ويمكن تقسيم العوامل الطبيعية إلى مناخ بعناصره المختلفة، المياه، التربة والتضاريس.

1-1- المناخ

يعتبر العامل المناخي بعناصر المختلفة من العوامل الطبيعية ذات التأثير القوي على الانتاج الزراعي، فلكل نوع نباتي الظروف التي تلائم نموه ويساعده على مردودية كبيرة وبأقل تكلفة اقتصادية، فالإطار المناخي هو الذي يحدد المجال المناسب لتعاطي مزروع معين، ويحدد أيضا شكل الانتاج الزراعي، ولمعرفة هذا التأثير نعرض لكل عنصر مناخي على حدى:

1-1-1- الحرارة والضوء

* **الحرارة:** هي الحالة التي يكون عليها الجو من البرودة أو السخونة، وكما هو معلوم فالسخونة تدعم نمو النباتات حيث أن الفترة الانباتية تتطلب متوسط حرارة لا يقل عن 10°، وعلى النقيض من ذلك تعيق البرودة عملية الانبات ونمو المزروعات، ففي ظل الانخفاض الكبير لدرجة الحرارة تتوقف الحياة النباتية أو تنعدم بحسب نوع النبات وقدرته على التكيف.

* **الضوء:** شكل من أشكال الطاقة المطلوبة من طرف الأحياء عامة، يتطلبها النبات خلال كافة مراحل نموه، ويؤثر الضوء في الزراعة بشكل كبير ذلك من خلال عملية التمثيل الضوئي التي تعتمد على الضوء بشكل أساسي وتنعدم بانعدامه، إذ يتيح الضوء التفاعل بين ثاني أوكسيد الكاربون الذي تمتصه النباتات الخضراء من الجو وبين الماء الذي تمتصه النباتات من التربة عن طريق الجذور، كما تؤثر شدة أو ضعف الضوء في نمو وإزهار النباتات.

2-1-1- الرياح

للرياح تأثير ايجابي على المزروعات عند حدود مناسبة من السرعة، تساعد على تلقيح النباتات بينما تعود سلبية لما تكون على سرعة مرتفعة قليلا الى مرتفعة، ويختلف تأثيرها هذا حسب نوعية النبات ودرجة حساسيته وحسب نوعية الرياح: باردة، حارة، جافة أو رطبة، كما أنها وكلما كانت سرعتها مرتفعة تنشط أكثر عملية التبخر، ومن آثار الرياح تجفيف التربة وتذريتها كشط المواد الدقيقة عنها، ما يتسبب في تدمير المحاصيل وإسقاط الثمار وتصبح خطيرة فترة الإزهار، كما تؤدي الى ذبول النباتات إذا كانت مرتفعة البرودة أو السخونة.

3-1-1- الصقيع

يرتبط الصقيع بالانخفاض الشديد في درجة الحرارة الى ما تحت الصفر، لهذه الظاهرة انعكاسات سلبية على النباتات والمزروعات، بحيث أنه لما تنخفض درجة الحرارة الى ما دون الصفر فان الأنسجة النباتية تتجمد ويغادر الماء خلاياها، ونشير إلى أن للنباتات قدرات مختلفة على تحمل ومقاومة الصقيع، وعندما تنخفض الحرارة دون الحد قدرة النباتات على المقاومة تصاب بالتلف (عتبة الصقيع)، والملاحظ كذلك أن المناطق المرتفعة تتأثر بشكل كبير بالصقيع بالمقارنة مع المناطق الساحلية بسبب التأثير البحرية التي تعمل على تلطيف الجو بتعديل برودته خلال الفصول الباردة والتخفيف من سخونته خلال الفصول الحارة (نسيم البحر).

4-1-1- التساقطات

هي كل أشكال نزول الماء من السماء في حالاته الفيزيائية: السائلة، الصلبة والغازية، من أمطار وبرد وثلوج كمصدر للماء الضروري للحياة النباتية، فلكل شكل من أشكال التساقطات جوانب ايجابية وأخرى سلبية، حيث أن التساقطات المطرية لها أهمية كبيرة جدا في تأمين المياه الضرورية للأنشطة الزراعية، إلا أنها فقط أحد مقومات النشاط الزراعي الذي يتوقف أيضا على ضرورة حضور مقومات طبيعية أخرى مناخية كدرجتي الحرارة والتبخر اضافة الى مقوم التربة، حيث أن الأمطار قد لا تكون كافية بالنسبة لأحد المزروعات والعكس بالنسبة لأخرى، أو قد تكون غير كافية بالنظر إلى درجة التبخر المرتفعة كما هو بالنسبة في المجالات الحارة، اضافة إلى قدرة التربة على امتصاص الماء والاحتفاظ عليه لمدة أطول، وقد تؤدي أحيانا وفرة الماء أو سوء تصريفه إلى كبح نمو النباتات بفعل خنقها وتعفن جذورها، كما لا تخفى خطورة الأمطار الغزيرة المركزة في الزمان على المحاصيل اذ تؤدي إلى جرفها وإغراقها، كما أن الثلج له اثار سلبية على النباتات خاصة عندما يتحول الى جليد ويزداد التأثير عندما يزداد سمكه، فيتسبب في كسر أغصان الأشجار كما يؤدي ذوبانه بشكل سريع الى حدوث الفيضانات ينتج عنها ضياع المزروعات وانجراف التربة، أما الآثار الجانبية الايجابية تتجلى في تزويد التربة والنباتات بالرطوبة اللازمة للنمو، حيث تكون كمية المياه المتسربة إلى التربة كبيرة عندما يكون الذوبان بطيئا، في حين يمكن القول أن آثار البرد تبقى سلبية على النبات في مختلف مراحل نموه، وتزداد اثاره السلبية تبعا لحجم حباته ومدة استمرار سقوطه، حيث يؤدي الى سقوط الأوراق والأزهار والثمار اضافة الى تكسير الأغصان والبراعم الصغيرة، وكثيرا من المرات التي تتضرر فيها بعض المحاصيل الزراعية من سقوط البرد لا سيما الزراعات الشجرية التي يتسبب في اسقاط ثمارها وإتلاف المحصول، هذا ما يفسر انتشار تسقيف مزارع أشجار الورديات (تفاح، خوخ، إجاص...) في المغرب بشباك واقي خصوصا بالمنخفضات والأحواض الجبلية للأطلس المتوسط .

2-1- التربة

التربة هي الجزء العلوي من القشرة الأرضية، محصلة نهائية لتفاعل عدة عناصر وعوامل كالصخر الأم والمناخ والغطاء النباتي والتضاريس والزمن، تتكون من المواد العضوية والمواد المعدنية والماء والهواء.

* **المواد العضوية:** من بقايا مخلفات الحياة النباتية والحيوانية التي تتحلل تحت ظروف عديدة (حرارة ورطوبة)، بمساعدة الكائنات المجهرية التي تعمل على تحويلها الى ثاني أوكسيد الكاربون وماء وأملاح كمواد ضرورية للحياة النباتية.

* **المواد المعدنية:** مواد دقيقة حبيبية ناتج عن تفكك الصخور وتفتتها، تعود في أصلها للصخرة الأم المحلية أو لصخور توجد في مناطق أخرى قريبة أو بعيدة، لكن بفعل اليات النقل والترسيب ثم جلبها وتوضعها في أماكن جديدة (مثلا: التعرية النهرية)، وتتأثر التربة في تكوينها بعدة عوامل نذكر منها:

2-1-1- الصخرة الأم: عن طريق العمليات المناخية (التجوية) الكيميائية والميكانيكية والبيولوجية... التي تتعرض لها الصخور نعرض لبعض الأمثلة منها:

* **التصدع الحراري:** تهشم الصخرة الأم تحت تأثير التغيرات الحرارية بفعل تردد عاملي التمدد والتقلص.

* **التصدع الجمدي:** بفعل تجمد المياه وازدياد حجمها في الشقوق لتمارس ضغطا، وبتردد العملية تهشم الصخور خصوصا بالصخور المتجانسة التكوين.

* **التصدع الملحي:** في المناطق الساحلية أو على هوامش البحيرات الصحراوية (السبخات) تحمل الرياح الماء المالح الذي تنمو بلوراته بمسامات الصخر وتؤدي الى تفكيكه وتحطيمه.

* **التصدع المائي:** تعاقب الماء على الصخر خصوصا الأنواع النافذة (الكلس) يعرضها للتبليل تم الانتفاخ، بينما التبخر يؤدي الى تيبيس الصخر، وتعاقب هذه العملية يؤدي الى تفكيك الصخر وتهشيمه، وينشط التصدع المائي بالمناطق التي تسجل تغيرات يومية أو فصلية مهمة من الرطوبة.

* **التصدع البيولوجي:** تلعب الكائنات الحية دورا أساسيا في تحطيم الصخور، مثلا النباتات تقوم بتحطيم الصخور المتماسكة عبر شقوق تخترقها جذورها.

2-1-1- المناخ بعناصره المختلفة: تلعب الحرارة والرطوبة دورا مهما في تكوين التربة، حيث تشكل الرطوبة عنصرا مشتركا بين كثير من العمليات الكميائية والحيوية التي تحدث في التربة، كما تساعد الحرارة على تسريع حدوث هذه العمليات.

2-1-1- أثر السطح في تكوين التربة: له دور كبير في تكوين التربة نتيجة تنوع المظاهر الطبوغرافية، فالارتفاع والانحدار يؤثر في تكوين التربة بسبب كمية التربة المجروفة. وبالتالي تختلف المردودية الفلاحية فوق تربة اللوس بحوض باريس وتربة تشرونيوزيوم بأوكرانيا عن التربة الحديدية المدارية، أو فوق تربة البودزول في الطايغا، وكمثال اخر على مستوى المغرب تختلف المردودية الفلاحية بين تربات التيرس والحمري والرمل...

2-1- التضاريس

تؤثر التضاريس في الانتاج الزراعي بشكل مباشر أو غير مباشر، فتنوع التضاريس له دور كبير في الانتاج الزراعي من حيث اختلاف الامكانيات الزراعية، فكلما كان الطابع المنبسط سائدا أتاح امكانية وجود أراضي صالحة للزراعة أو على الأقل استحداثها في بعض الحالات، وكلما كانت التضاريس وعرة كحالة المناطق الجبلية تنعدم الأراضي الزراعية وتقتصر أحيانا على بعض الأودية (أحزمة ضيقة) أو المنخفضات الداخلية حبيسة.

2- العوامل البشرية

تتميز العوامل البشرية المؤثرة في الزراعة بتعقدها وتداخلها وتغيرها السريع، ويقصد بها كل ما يتصل بالإنسان ونشاطه في هذا المجال، لكن لا يمكن فصلها من حيث التأثير عن العوامل الطبيعية، وتتجلى العوامل البشرية في الإرث التاريخي، الجانب الديموغرافي، الجانب الاقتصادي، الجانب الاجتماعي والسياسات الحكومية، وتفاعل هذه العوامل فيما بينها يؤدي الى خلق مشاهد زراعية معينة.

2-1- الجانب التاريخي

يتحكم الجانب التاريخي في النشاط الفلاحي بشكل عام، فمثلا نلاحظ أن الجبال المغربية شأنها شأن كثير من المجالات الجبلية في العالم، تحتضن كثافة سكانية مهمة منذ القديم بالرغم من قساوة الظروف الطبيعية (قساوة المناخ، وعورة التضاريس، ضعف خصوبة التربة، قلة الأراضي الصالحة للزراعية...)، ويفسر الأمر بكون الجبال شكلت ملاذا للاحتماء في فترات شيوع الحرب وانعدام الأمن، وكشكل من أشكال التكيف وتطويع المعطيات الطبيعية لصالح الانسان الجبلي، تمت إقامة المدرجات الزراعية واستغلالها في زراعة الحبوب والقطاني، الخضراوات، الأشجار المثمرة... الى جانب تربية الماشية اضافة الى استغلال المجال الغابوي، أما المناطق السهلية والهضبية عرفت تحولات عميقة على كافة المستويات منذ بداية القرن الماضي (الحماية الفرنسية بالمغرب).

2-2- الجانب الديموغرافي

يخضع النشاط الفلاحي لتأثير الجانب الديموغرافي، فكلما تزايد عدد السكان يرتفع مستوى الطلب على المنتوجات الغذائية، ما يطرح ضرورة توسيع المجال الزراعي خصوصا للرفع من الإنتاج، كما يساهم في ذلك تحسن مستوى معيشة السكان، التي ترفع من الطلب على بعض المنتوجات من الخضر والفواكه والأعلاف (لإنتاج اللحوم)، بينما يقل الطلب عليها في حالة تراجع المستوى المعيشي، ويقتصر الأمر على منتوجات ضرورية غالبا ما تكون حبوب وقطاني.

يعتبر اقتران الفلاحة بالضغط الديمغرافي الكبير من أهم العوامل المسؤولة عن الديناميكية التي تعيشها أرياف العالم، ويستدل على هذا الباحث BOZERUPE صاحب نظرية الضغط الديموغرافي، مفادها أن كل الابتكارات التقنية التي تمت خلال قرون كانت نتيجة للضغط السكاني، ولإحداث نوع من التوازن بين حجم السكان والحاجة الى الغذاء، تم اللجوء الى ابتكار حلول تقنية أو تكييفها للزيادة الانتاج أو توسيع المجال الفلاحي أفقيا للتخفيف من الضغط السكاني ومن تبعاته الاقتصادية والاجتماعية أو الهجرة نحو المدن.

2-3- الجانب الاقتصادي

يتركب الجانب الاقتصادي المتعلق بالأنشطة الفلاحية من عدة عناصر التي لها أهمية في الانتاج الفلاحي وهي كالتالي:

2-3-1- رأس المال:

تزايدت أهمية الرأسمال في ظل التقدم المضطرد الذي تشهده الأساليب والتقنيات الفلاحية، مما مكن من تكثيف الانتاج بانتشار المكننة واستخدام الآلات والأسمدة والبذور المنتقاة والمحسنة، حيث بات من المستحيل أن لا يسعى الفلاح الى تحسين مدخلات الانتاج الفلاحي في مزرعته، الأمر الذي يفرض توفير رأسمال لتمويلها.

2-3-2- النقل:

ساهم ولا يزال العامل المواصلاتي من طرق ووسائل النقل (البري، البحري، الجوي) في التحفيز على استغلال الأراضي الزراعية والاستثمار فيها، فوجود بنية تحتية مواصلاتية يسهل عملية الربط بين مناطق الانتاج ومناطق الاستهلاك وتصريف المنتوج، فكلما كانت طرق ووسائل النقل جيدة وسريعة كلما كان وصول السلع الى المستهلك سريعا وبجودة عالية.

2-3-3- السوق:

الحلقة النهائية التي ينتهي عندها مسار عمليات الانتاج الفلاحي، ففي ظل الانفتاح الحاصل أصبح الفلاح أكثر تطلعا الى الدخول بمنتوجاته الأسواق الداخلية منها والخارجية، ذلك بانتقائه واستثماره في المنتوجات التي يرتفع الطلب عليها والتي توفر هامشا مهما من الربح في نفس الوقت، ان عمليات تسويق المنتوج الفلاحي يخضع لمنطق الطلب والعرض والمنافسة.

2-3-4- اليد العاملة:

هناك ارتباط وعلاقة كبيرين بين الانتاج الفلاحي واليد العالمة، حيث أن الأخيرة كلما كانت مؤهلة ومكونة تكوينا جيدا، ومدربة ولها خبرة في الممارسة الفلاحية، كلما انعكس ذلك ايجابا على الانتاج على مستوى الحجم والجودة والعكس صحيح.

3- السياسات الحكومية

يتعلق الأمر بتدخلات الفاعل الرسمي أي الدوائر الدولاتية التي تعنى بالشأن الفلاحي عن طريق بلورة وتنفيذ سياسات اصلاح زراعي يتطلع الى احداث تغييرات في البنيات العقارية بمجال ريفي معين، من أجل تحقيق نتائج زراعية ،حسن، عن طريق مشاريع تحسين وتطوير التقنيات والأساليب للرفع من الانتاج، وقد عرفت دول العالم النامي سياسات فلاحية اصلاحية منذ بداية النصف الثاني من القرن الماضي لتحقيق عدة أهداف منها:

* **غايات اجتماعية:** تعزيز المساواة وتكريس عدالة اجتماعية بين ساكنة الأرياف، وتمكينها وتسهيل الولوج إلى إنتاج الثروة والعيش الكريم، ذلك عن طريق اعادة النظر في أشكال ملكية الأرض وفي توزيع الأراضي، وتحديد المستفيدين من استغلالها والاستثمار فيها.

* **غايات اقتصادية:** يتمثل في سعي الأنظمة السياسية من خلال سياساتها الاصلاحي-زراعية تحقيق حجم انتاج معتبر، ضمانا للاكتفاء الذاتي والأمن الغذائي وتخفيض التكلفة السنوية من العملة الصعبة التي تدفع الى الأسواق الخارجية مقابل الحصول على المنتوجات الغذائية، كل هذه الأمور تحتم على الدولة رصد ميزانيات ضخمة لتمويل الاصلاح الزراعي وتوفير الموارد البشرية الضرورية من مصالح فلاحية (مهندسين، تقنيين، مرشدين فلاحيين... اضافة الى توفير اللوجستيك والدراسات والبحوث وإحداث وتنشيط مراكز البحث والتكوين وتأسيس هياكل تعاونية وتوفير القروض المناسبة المحفزة على الاستثمار في الفلاحة...

المحور الخامس: الاطار الاقتصادي والاجتماعي للنشاط الفلاحي

يتأثر النشاط الفلاحي بنوعية العلاقات التي تربط الانسان بالأرض مثلما تتأثر بالظروف الطبيعية من جهة، كما تتأثر أيضا بالعلاقة التي تربط بين مختلف الأفراد والجماعات المستغلة للمجال الريفي من جهة أخرى، هذه العلاقات تحدد نمط الانتاج الاقتصادي للنشاط الفلاحي وبالتالي فهي مسؤولة عن التنوع الكبير الذي تعرفه المجتمعات

الريفية ومن الجوانب الأساسية لهذه العلاقات الاجتماعية نجد ما يعرف بالملكية[17] والحيازة[18].

تعتبر دراسة النظم والأساليب الفلاحية من أهم مواضيع الجغرافيا الأرياف التي تعنى بالبنيات الفلاحية في شموليتها، وهي تتناول كل النظم والأساليب الفلاحية وكل ما يتعلق بالخدمات والآلات التي يتطلبها اعداد الحقل، كما تتطرق الى كل ما يتعلق بأصناف الفلاحة الكبرى (فلاحة معاشية وفلاحة تسويقية)، وكل نوع من هذه الأصناف يحوي نماذج كثيرة ومتنوعة تختلف بعضها عن بعض حسب الحضارات والتقاليد والمعطيات الطبيعية والمؤهلات الاقتصادية والسياسية السائدة بالبلاد.

1- الملكية العقارية

تعتبر ملكية الأرض الزراعية مسألة أساسية تتحكم بشكل كبير وواسع في المشاهد الزراعية كما أنها تتحكم في الانتاج والمردودية وفي نوعية الاستثمار وتختلف ملكية الأرض بين الملكية الفردية والجماعية:

1-1- الملكية الفردية:

هي الملكية العقارية السائدة بالبلدان ذات أنظمة الانتاج الرأسمالية والبلدان ذات الاستقرار الزراعي القديم، ويكون لصاحبها حق استغلالها بكل حرية (البيع الكراء الرهن...)، وتنتقل الملكية بالتوارث حسب القوانين والأعراف المتداولة في المجتمعات نتيجة لذلك تكون لها مساحات صغيرة وإنتاجية ضعيفة، وبالتالي تشكل عائق أمام التحديث الزراعي.

---

[17] تكتسي معنى تجريديا أي معرفة من له الحق في الأرض، وتعطي لصاحبها ثلاثة حقوق: حق الاستعمال، حق الانتفاع، حق التفويت.

[18] عبارة عن مساحة من الأرض سواء كانت ملكا (رسم عقاري) أو انتفاعا أو كراءا وتعني كذلك وسائل وأدوات الانتاج الأخرى، يقوم المستغل بتوظيفها للحصول على الانتاج الفلاحي. تعتبر الخلية الأساسية للنشاط الفلاحي وللحياة الريفية، كما تشكل واقعا اقتصاديا واجتماعيا باعتبارها إطارا لحياة عائلة فلاحية.

2-1- الملكية الجماعية:

هي كل الأراضي التي لسكان حق الانتفاع بها فقط لكونها غير قابلة لتفويت لا يمكن بيعها أو توارثها أو ترهن أو تكرى لأنها ملك جماعي كالمراعي والغابات في المغرب مثلا نذكر أراضي القبائل أراضي الجيش أراضي الدولة أراضي الأحباس.

2- نظم وطرق الاستغلال

نقصد بذلك قانون الاستغلال الفلاحي الذي ينظم العلاقة بين المالك و المستغل وينقسم الى قسمين:

2-1- الاستغلال المباشر:

نتحدث عن هذا النوع من الاستغلال عندما يشرف المالك نفسه عن عمليات الاستغلال وتدبير شرون حيازته او بمساعدة افراد اسرته او الاستعانة باليد العاملة المأجورة لما تدعو الضرورة الى ذلك

2-2- الاستغلال غير المباشر:

يحدث هذا عندما لا يستغل المالك الحيازة الفلاحية بنفسه، بل تكون بيد شخص اخر يدير شؤونها، ويتخذ هذا النوع أشكالا متعددة ومعقدة أحيانا تعوق بشكل كبير تطور القطاع الفلاحي نذكر منها:

* **الأكارة:** مبنية على أساس عقدة شفوية أو كتابية، تبرم بين المالك والمكتري بمقتضاها يدفع الثاني للأول أجرا عينيا أو ماديا وتكون مدة الكراء محددة.

* **البيزرة:** تختلف عن الأكارة، فالبيزرة يساهم الشريك بنصيب من المال وأيضا من العمل لكن المالك هو الذي يحدد نوع المزروع ويقرر بيع المنتوج، مقابل نصيب يرجع الى الشريك بعد ناهية السنة الفلاحية.

* **الخماسة:** أساسها اتفاق عرفي، اذ يتم تقسيم وسائل الانتاج الفلاحي الى خمسة أقسام وهي الأرض، الدواب، البذور، العمل والمصاريف، ويأخذ الشخص الخماس الذي يقوم

بعملية استغلال الأرض خمس الانتاج، غير أن هذه العملية تختلف باختلاف المنتوج وأهمية مردود المحاصيل، لذلك قد يحصل على الربع ويسمى رباعا[19].

* **الشركة:** من أهم الأنوع السائدة في العالم، تنتج عن العجز الذي تعانيه الفلاحة التقليدية في وسائل الانتاج وحجم الملكية، وبالتالي فإن المزارعين يضطرون الى التعاون فيما بينهم لمواجهة نوعية النقص الذي يعانون منه، وهذه الشركة تشمل كل الأراضي المستغلة وكذلك وسائل الانتاج.

* **تعاونيات الإنتاج:** تهم جانبا من الفلاحة اما الزراعة أو تربية الماشية وأحيانا أخرى هما معا، التعاونية هي جمعية تضم عددا من الفلاحين والغاية تقديم بعض المساعدات والخدمات للمنخرطين لتطوير الانتاج دون السعي لتحقيق الربح.

3- أنواع الفلاحات

3-1- الفلاحة المعيشية

تعتبر الفلاحة المعيشية من أهم الأنشطة الزراعية السائدة في العالم، وتمارس الغالبية العظمى من المزارعين في افريقا وأمريكا اللاتينية وجنوب شرق اسيا وأوربا المتوسطية، تعتمد الفلاحة التقليدية على تقنيات وأساليب تقليدية تحتل اليد العاملة مكان هامة في الانتاج الفلاحي، تستعمل أدوات ووسائل قديمة، وبالتالي فإن مردوديتها الاقتصادية تكون ضعيفة (فلاحة مقلالة)[20] موجهة لسد الحاجات الذاتية، وتتميز الفلاحة المعيشية ب:

* **استغلال محدود للمجال الفلاحي:** بحكم ضعف وسائل الانتاج لا تشغل المجال كله وإنما تنحصر في بعض البقع الصالحة لبعض الزراعات التي تستهلكها الجماعات المحلية، وبالتالي لا يستغل الفلاح من الأرض إلا ما يستطيع استغلاله، ويكفي حاجاته حسب الأساليب الفلاحية المعروفة لديه، وتكون البقع المستغلة متناثرة ومتباعدة كما هو الشأن في بعض

---

19 نظام تعاقدي يلتزم من خلاله الرباع بالعناية بالأرض وفلاحتها وصيانتها كما يلتزم بدفع ثلاثة أرباع المحصول إلى مالك الأرض، بينما يحصل هو على ربع من المحصول وهو كما المخامسة تعاقد يكون لسنة فلاحية واحدة قابلة للتجديد في حال الاتفاق بين الطرفين.

20 مردودية ضعيفة ومتعددة المحاصيل يقوم فيها الفلاح بالتحايل على الطبيعة، يمارس فيها تناوبا ثنائيا أو ثلاثيا يركز على مزروعات (بكرية، مزوزية، استراحة).

المناطق الافريقية والاستوائية والمدارية حسب كثافة السكان، وقد تكون شديدة الكثافة كما هو بالنسبة للمناطق اسيا الشرقية.

* **فلاحة متعددة المحاصيل:** تتعدد المحاصيل الزراعية خلال السنة الواحدة، وتمكن مثل هذه العملية الفلاح من الحصول على المواد الغذائية الضرورية والمتنوعة، كما تمكنه من التعويض في حالة اذا ما أصيب منتوج معين بالتلف لسبب من الأسباب كاستراتيجية لتشتيت المخاطر، كما توفر على الفلاح مشكلة التخزين، وفي مثل هذا النوع من الفلاحة فان الأسلوب الزراعي ليست له علاقة بالظروف الاقتصادية، وإنما هو مرتبط بالظروف الطبيعية والبشرية التي تؤثر مباشرة على النشاط الفلاحي، خاصة وأن العديد من الجماعات الزراعية في العالم لا تزال تسودها البنية الأبوية، التي تجعل من الأرض ملكا جماعيا يوزع دوريا على العائلات المزارعة، وفي هذا الاطار الاجتماعي يضطر أرباب العائلات للخضوع ألى أساليب زراعية معينة يجري بها العمل داخل العشيرة التي ينتمون إليها وبالتالي تنعدم المبادرة الشخصية التي من شأنها العمل على ادخال تحسينات على الحيازة.

3-1- الفلاحة التسويقية

ازدهر هذا النوع من الزراعة بأوربا خلال القرنين الماضيين، نظرا لتزايد حاجة السكان الأوربيين من الغذاء خاصة بالمدن التي تزايدت ساكنتها بفضل الثورة الصناعية والهجرة التي ترتبت عنها، هذا الى جانب التطور الذي عرفته أساليب الفلاحة وتوسع طرق المواصلات، وأمام تزايد انفتاح العالم تزايد الطلب وارتباط الاقتصاد بالسوق، أصبح الفلاح مجبرا على تلبية طلبات السوق العالمية فيما يخص بعض المنتجات الفلاحية مقابل الربح المادي، وهكذا أصبحت الفلاحة التسويقية عبارة عن اقتصاد زراعي يعتمد على المبادلات التجارية، غير أن السوق يبقى له الدور الفعال والحاسم في هذا النوع من الفلاحة من خلال توجيهها، هذا يدفعها إلى إنتاج مرتفع وذو جودة عالية باستعمال مختلف التقنيات والأساليب الحديثة والمستجدة، والوسائل التكنولوجية المتطورة والتخصص في الإنتاج لذلك نجد كثير من المناطق في العالم تتخصص في إنتاج محصول زراعي معين وواحد، أو عدد قليل من

المزروعات (أمريكا الوسطى المتخصصة في انتاج الموز والفواكه، البرازيل متخصصة في البن، الصين في الأرز، الولايات المتحدة الأمريكية متخصصة في القمح).

تنتج الفلاحة التسويقية حسب متطلبات السوقيين الداخلي والخارجي العالمي، مما يجعلها تتسم بصفة عدم الاستقرار لأنها تعل دوما على التأقلم مع تقلبات السوق ومتطلباته وأسعاره.

خاتمة عامة

تعنى جغرافية الأرياف عموما بدراسة الديناميات والتحولات التي تطرأ بالمجالات الريفية في ظل وجود اطارين طبيعي وبشري متفاعلين فيما بينهما في سياقات اجتماعية وتنظيمية معينة تحدد انماط الاستغلال وسبله، كل ذلك في تعالقه أيضا بمختلف التطورات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية لبلد ما، بل وتخضع التحولات الريفية كذلك لتأثيرات قد تتجاوز أحيانا حدود البلد الواحد وتصبح مصدر عالمي باستحضار مبدأ تأثير العالمي في المحلي، حيث أن المجال الريفي في الوقت الراهن لا يوجد بمنآى عن التأثر بظاهرة العولمة.

بيبليوغرافيا عربية

- **المجلس العام للتنمية الفلاحية،(دون سنة):** *الوضعية الفلاحية للمغرب*، رقم 10، عدد الصفحات 192 .

- **بلفقيه محمد،(1988):** *أوليات في الجغرافيا الزراعية*، منشورات الشركة المغربية لتنمية النشر والتوزيع، عدد الصفحات 149.

- **تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي،(2017):** *تنمية العالم القروي التحديات والآفاق*، إحالة ذاتية رقم: 29/20.

- **لمباركي حسن،(2016):** *البحث السلوكي في الدراسات الريفية المغربية تقييم أولي لاتجاه علمي واعد*، تنظيم وتهيئة المجال الريفي بالمغرب: أبحاث وتدخلات، تنسيق: الأكحل المختار، فاتح عبد العالي، حنزاز محمد، تخليدا للذكرى 10 لتأسيس مجموعة البحث حول الأرياف وتكريما للأستاذ كرزازي موسى، ص ص: 37-48.

- **مشوري نادية، أصفى محمد والعوينة عبد الله،(2008):** *المساهمة في إعداد مخطط للتهيئة من أجل تنمية مجال ريفي مغربي*، نحو استراتيجية تخطيط التنمية المجالية في العالم العربي بأبعادها المحلية والقومية والعالمية، الجزء الأول، تنسيق: محمد الأسعد، منشورات الجمعية الوطنية للجغرافيين المغاربة، أبحاث الملتقى الرابع للجغرافيين العرب، الرباط، ص ص: 553-567.

- **موساوي وآخرون،(2016):** *البحث الجغرافي حول أرياف صفرو أية حصيلة ؟*، مئوية الجغرافيا المغربية، ص ص: 105-130.

- **الأكحل المختار،(دون سنة):** *التحولات المعاصرة للمسكن الريفي حالة بنسليمان*، دينامية المجالات الفلاحية بالمغرب، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية الرباط، سلسلة وندوات ومناظرات رقم 121، تنسيق موسى الكرزازي، المختار الأكحل، ص ص: 49-66.

- **جمال عبد اللطيف،(2011):** *ملاحظات أولية حول موضوع السكن الريفي بالمغرب*، السكن القروي: التحولات وآفاق التنمية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة شعيب الدكالي،

أعمال الندوة التي نظمت بتعاون مع الجمعية الوطنية للجغرافيين المغاربة بالجديدة يومي 25 و26 ماي 2006، سلسلة ندوات ومناظرات العدد 10، ص ص: 7-10.

بيبليوغرافيا فرنسية

-**Gouin,Leveque,Pascale.(2016):** *quelle place pour la géographie rurale dans l'enseignement universitaire ?*, organisation et aménagement de l'espace rural au Maroc: recherches et actions, coordination: Lakhal Moktar, Fateh Abdelali, Hanzaz Mohamed, a l'occasion du 10 eme anniversaire du GREMR et en hommage au professeur Moussa Kerzazi, pp: 23-30.

-**Jean-paul Diry.(1999):** *les espaces ruraux*, Armand Colin, Paris, 2eme éditions.

-**Jean-Jacques,bavoux.(2002):** *la géographie: objets méthodes débats*, Armand Colin.

- **Wakrim,M.(1994)**: *les grandes lignes du plan directeur de gestion conservatoire des ressources en terres Bour*, série Nº3, éditée par le ministre de l'agriculture et de la mise en valeur agricole, cellule de l'environnement, pp: 9-26.

-**Gouin,Leveque,Pascale.(2016):** *quelle place pour la géographie rurale dans l'enseignement universitaire ?*, organisation et aménagement de l'espace rural au Maroc: recherches et actions, coordination: Lakhal Moktar, Fateh Abdelali, Hanzaz Mohamed, a l'occasion du 10 eme anniversaire du GREMR et en hommage au professeur Moussa Kerzazi, pp: 23-30.

-**Jean-Jacques,bavoux.(2002):** *la géographie: objets méthodes débats*, Armand Colin.

- **Dunlop,Jerome.(2012):** *les 100 mots de la géographie*, Que sais-je?, 2 eme édition.